خاتمة

* أما بعد ، فلعل ما جاء بهذا الكتاب خير دليل على أن ملف « القراءات » لم يغلق بعد ، وأن من يسعى إلى إغلاقه مخافة الاختلاف فى كلام الله وطمعًا فى حفظه إنما يحكم بالموت جموداً ، ثم نسيانًا لأعزّ دُرَّة فى تاج تراثنا الإسلامى والعربى ، ذلك أنه يخالف – من حيث لا يدرى – المقاصد الإلهية التى شاءت أن تحفظ القرآن فى صورة قراءات متعددة ، ومتنوعة ، لحكمة عليا ، أسهبنا فى الحديث عنها فى صفحات هذا الكتاب .

فالقرآن واحد ، والقراءات متعددة ، والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل . ومن هنا جاءت دعوتنا إلى إحياء القراءات . وإحياؤها لا يكون فقط بتحفيظ القرآن بالسبعة وبالعشرة لنفر محدود ، فى معاهد دينية متهالكة مهملة ، ومحدودة فى الكم والكيف كما هو الحال الآن . كما أن إحياءها لن يأتى من خلال احتكار المعرفة بها على فئة محدودة للغاية من الأكاديميين تعد على أصابع اليد الواحدة . ولن يأتى إحياء القراءات أيضًا فى ظل سياسة إعلامية جوهرها الترويج لراوٍ واحد عن قارىء واحد لا ثانى له ، حتى وإن ثبت أنه الأوثق ، أو الأشهر ، فالسبع كلها مشهورة ومتلقاة بالقبول ، بل والعشر إن شاء الله .

إنما يكون إعادة إحياء تراث القراءات – فيما نرى – بالخطوات التالية :

أولاً : تطوير معاهد القراءات وتحفيظ القرآن من خلال :

١ – تخصيص الاعتمادات للأبنية التعليمية ، وإعادة تأثيثها بعناصر جمالية تجذب إليها الجمهور ، وتعين التلاميذ على مهمتهم الشاقة .

٢ – تمييز هيئة التدريس بحوافز إضافية ، تؤمن لهم معيشة كريمة تليق بأمثالهم من حملة القرآن .

٣ – تحفيز التلاميذ ، بصرف مكافآت شهرية لهم ، كافية لأن تشكل عنصر جذب حقيقى .

٤ – فى مقابل عناصر التحفيز المشار إليها والتى تشكل عنصر جذب ، فمن المتوقع أن يشتد الإقبال على معاهد القراءات ، وهنا يجب وضع « نظام اختبارات للقبول فى القدرات والميول » لا يقبل بالمعاهد إلا من يجتازه بنجاح . ومنها اختبارات الذاكرة وجمال الصـــوت وحسن الأداء والميل للموسيقى وغيرها . ومعظمها متاح ، لا ينقصه إلا التقنين على بيئتنا العربية والإسلامية على يد المتخصصين ، وهم كثر .

٥ – تطوير مناهج التدريس بحيث لا يقتصر الأمر على تحفيظ القرآن ، بل يتعداه إلى ثقافة القراءات ، وتاريخها والقضايا المثارة بشأنها . كما يمتد أيضاً إلى دراسة « فقه اللغة » بما يحتويه من دراسة اللهجات المقارنة – قديما وحديثًا .

ناهيك عن قواعد النحو ووجوه الإعجاز اللغوى والبلاغى لوجـــوه القراءات .

٦ – فإذا قيل : مشكلة التمويل ، ومحدودية الموارد ، أقول : توجه الدعوة فى وسائل الإعلام إلى القادرين من عشَّاق القرآن والقراءات لفتح باب التبرع ، وتكون الدعوة موجهة للمسلمين من كافة أنحاء العالم ، وليس بمصر وحدها ، حينذاك ستنهال التبرعات ممن أفاض الله عليهم بكرمه ، حبًّا وكرامة .

ولا بأس من تكوين روابط لمحبى القرآن والقراءات ، فنضمن بذلك استمرارية الاتجاه ، بل وتطويره على أيدى محبيه ، وما أكثرهم .

ثانيا : تطوير السياسة الإعلامية :

١ – يجب ألا تقتصر إذاعة القرآن الـكريم على رواية حفص عن عاصم فقط ، ذلك أن الناس قد التبس عليهم ، فظنوا أن القرآن هو فقط بحفص عن عاصم فى مصر والسعودية وغيرهما . على حين أن المغاربة والسودان فى بعض نواحيه يظنون أن القرآن هو فقط برواية ورش عن نافع . وقد أوضحنا خطورة ذلك ، فضلاً عن كونه « غير حقيقى » . وأنه يفرق بأكثر مما يجمع ، فضلاً عن كونه لا ينسجم مع المقاصد الإلهية . فهل آن الأوان للرجوع إلى الحق ؟ .

٢ – يجب أن ينوه المذيع إلى الرَّاوى والقارىء عندما تكون القراءة بحفص

عن عاصم ، أو بورش عن نافع ، أو بالسبعة أو بالعشرة أو بغيرها . ويعاد النظر فى السياسة الإعلامية الحالية التى لا تعلن إلا عن « حفص عن عاصم » وتصر على تجاهل من سواهما ، فلا يأتى ذكر أحد غيرهما مما هو متبع حاليًا فى المرات القليلة التى يذاع فيها تلاوة بغير حفص فى الإذاعة المصرية بكل محطاتها ، ومما يؤكد أنها سياسة مقصودة ومتعمدة ، وإلا فهو تقصير لا يغتفر .

٣ – أن يطبع المصحف المرتل بقراءات لغير حفص عن نافع ، وهى الوحيدة المتاحة حاليًا ، ولا يشذ عنها إلا تسجيل واحد فقط لرواية ورش عن نافع بصوت الشيخ الحصرى (رحمه الله) ، وهو مالا يكفى بحال لإشباع رغبات الجمهور والوفاء باحتياجاتهم .

٤ – ويسرى على المصحف المجود ما يسرى على المصحف المرتل ، فلا تجد فى الأسواق الآن شرائط مسجلة بأصوات مشاهير القرَّاء إلا بحفص عن عاصم . فضلاً عن أنه لا يتم التنويه – كتابة . على أغلفة الشرائط عن الرَّاوى ولا عن القارىء لا حفص ولا غيره .

ثالثا : فى مجال التأليف والبحوث :

فى المكتبة العربية بعض المؤلفات فى موضوع القراءات ، ولكنها لا تشفى غليلاً ولا تؤدى دورًا فعالاً ، لأسباب عديدة ، منها :

– جفاف الأسلوب وخلوه من عنصر البساطة وعنصر التشويق . من هنا لم يتلقاها جمهور القراء بالقبول ولم تشتهر وأصبح نشر كتاب فى القراءات مخاطرة مادية غير مأمونة ، فتقلصت المؤلفات وتقلص معها تراث القراءات العظيم .

– تكاد المكتبة العربية تخلو من مؤلفات فى تاريخ القرَّاء ، فلا يكاد أحد من الناس يعرف من هو أبى بن كعب ، ولا من هو حفص ، ولا عاصم ، ولا غيرهم .

والأنكى من هذا ، أن عامة المثقفين قد يعرفون جيداً عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، ولكن لا أحد منهم على وجه اليقين

يعلم فضلهم فى خدمة كتاب الله .. ! أليس هذا غريبا ؟ ... أم أنه شىء لا يستحق أن يُذكروا به !؟ .

– تتسم لغة الخطاب فى معظم المؤلفات التى تتحدث فى القراءات بالحذر الشديد وتجاهل القضايا ذات الشأن والقفز فوقها وفوق العقل وفوق الحق أحيانا ، للتأكيد فى النهاية على أنها متواترة كلها ، مسموعة من فم النبى ﷺ كلها ، موحى بها كلها ، معلومة من الدين بالضرورة كلها ، وهو ما لم يقل به أحد من القدماء .

فهل يعتبر هذا إبداعًا من المحدثين أم بدعة ؟ .

فالقضايا الخلافية لا تتطلب إلا منطق الإقناع ، ومناخ الحوار ، وطرح الرأى والرأى الآخر ، ثم تسرى عليها السنة الخالدة : فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

ولنا فى الإمام أبى حامد الغزالى عبرة ، فقد كتب رأيه فى الفلسفة فى كتاب « تهافت الفلاسفة » ، فلما عجز ابن رشد عن إقناع الناس بقضيته فى كتابه « تهافت التهافت » ، ذهبت الفلسفة إلى حيث ألقت . ولم يكن ذهابها جفاء « بفتوى » ، ولكنها ذهبت بـ« كتاب » .

– آن الآوان لكن نسخر « التكنولوجيا » فى خدمة القراءات والقرآن .

فهل قام علماؤنا بحفظ القراءات على أسطوانة كمبيوتر ؟ .

إن حفظ القراءات على الكمبيوتر يجب أن يتصدر الأولويات فى مجال حفظ التراث ومن ثم إحيائه . وسوف يفتح ذلك الباب للمئات من الدراسات والبحوث التى تستفيد من استرجاع المعلومات ، مصنفة ، مبوبة بعشرات الطرق بمجرد لمسة إصبع . فهل فى هذا ما يخفى من فوائد ؟ ... فماذا تنتظرون ؟ .

– آن الأوان لتطوير مناهج البحث فى الدراسات الإسلامية . ولماذا لايستفاد من « المنهج الإحصائى » فى علم القراءات ؟ .

والباب الثانى من هذا الكتاب قد سخر علم الإحصاء لخدمة أهدافه ، فخرج بمؤشرات عن اتجاهات القرَّاء . وهى مؤشرات – وإن كانت تقريبية – إلا

انها لا تخلو من فوائد . فنتائجها عجزت عن بلوغها المناهج الاستقرائية التاريخية التقليدية . وهنا تكمن قيمة « العلم » الحقيقية .

فلماذا لا نسخر منهج العلم فى خدمة « التراث » ؟ .

أرجو أن يكون ما توصل إليه هـذا الكتاب فى بابه الثانى : « اتجاهات القرَّاء » – إذا ثبتت صحته – حافزاً للباحثين ، ومن قبلهم المشرفين عليهم ، لاتباع هذا المنهج الإحصائى – بأصوله الأكاديمية – فى بحوثهم ، وأنا على يقين من أن ذلك سوف يفتح الباب على مصراعيه للخروج بالتراث من مأزق الجمود الذى يعانيه ، والدائرة المفرغة التى يدور فيها .

* * *

وينتهى الكتاب ، ولا ينتهى الكلام ، ولا التفكير . ولم تطمئن نفسى إلى كلمة وردت به ، ولا إلى رأى اجتهدت فيه قدر اطمئنانى إلى النية التى تقف من ورائهما .

فالله أسأل ، أن يتقبل منى نيتى ، وأن يغفـر لى خطيئتى ، وأن ينير به قبرى ، وأن يثقل به ميزانى ، وأن يبيض به وجهى ، يوم أن ألقاه ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وأن يزحزحنى به عن النار ، وأن أتسلمه بيمينى فأهتف : هاؤم اقرءوا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه .

وصلى الله وسلم على نبينا سيد المرسلين ، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، من حملة القرآن العظيم ، سـلامًا يرضيك وترضـاه وترضى به عنا ، آمين . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

صبرى الأشوح

الأربعاء ٢٦ من رجب سنة ١٤١٨ هـ

فجر ليلة الإسراء المباركة .

قائمة المراجع

* مصحف المدينة النبوية ، كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص عن عاصم .

* المصحف الشريف ، طبع بالرسم العثمانى على رواية الإمام ورش (عن نافع) بالخط المغربى التونسى الجزائرى الإفريقى الموحد ، وأقر صحته مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . الناشر : دار المصحف ، الأزهر ، القاهرة .

* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقى ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ .

* النشر فى القراءات العشر ، تأليف ابن الجزرى ، تصحيح ومراجعة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارىء المصرية ، دار الفكر ، القاهرة . جزءان .

* إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للعلاَّمة الدمياطى البنا ، رواه وصححه وعلق عليه الشيخ على محمد الضباع مراجع عموم المصاحف ومراقبها بمشيخة المقارىء المصرية – الناشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، الأزهر ، القاهرة .

* كتاب المصاحف ، تأليف أبى بكر السجستانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

* المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات ، تأليف أبى الفتح عثمان بن جنى ، وتحقيق على النجدى ناصف ، ود . عبد الحليم النجار ، و د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، مصر سنة ١٩٩٤ ، جزءان .

* قراءات القرَّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين ، تأليف الأندرابى المقرىء ، حققه وقدم له د . أحمد نصيف الجنابى ، بالجامعة المستنصرية ، الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٥ م .

* منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى ، قرأه بعد طبعه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ، دار زاهد القدسى .

* الإبانة عن معانى القراءات ، تأليف الإمام مكى بن أبى طالب حموش القيسى ، قدم له وحققه ، وعلق عليه ، وشرحه ، وخرج قراءاته د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* تاريخ القرآن ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، معهد الدراسات الإسلامية ، سنة ١٩٩١ م .

* أبو عمرو بن العلاء ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٧ م .

* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى .

* الاختيار فى القراءات ، منشؤه ، ومشروعيته ، إعداد د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، جامعة أم القرى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٩٦ م .

* الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ، رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الناشر دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، تأليف د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

* القراءات ، أحكامها ومصادرها ، تأليف د . شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٦ م .

* المستنير فى تخريج القراءات المتواترة ، تأليف د . محمد سالم محيسن ، مكتبة جمهورية مصر ، الحسين ، القاهرة ، ثلاثة أجزاء .

* من قضايا اللغة والنحو فى كتاب النشر لابن الجزرى ، د . فؤاد أحمد

السيد الحطاب ، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .

* فقه اللغة ، تأليف د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* مفهوم النص ، دراسة فى علوم القرآن ، تأليف د . نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣ م .

* تاريخ الجدل ، تأليف الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

* مباحث فى علوم الحديث ، تأليف أ . مناع القطان ، الناشر مكتبة وهبة ، عابدين القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٢ م .

* الرأى العام ، طبيعته وتكوينه وقياسه ، تأليف د . أحمد بدر ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٢ م .

* الإحصاء فى علم النفس ، د . صفوت فرج ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

* القرَّاء والقراءات بالمغرب ، سعيد إعراب ، دار المغرب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٠ م .

صدر للمؤلف :

* التفكير عند أئمة الفكر الإسلامى

أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، ابن حنبل ، ابن حزم

* تأليف : صبرى الأشوح .

* يطلب من : مكتبة وهبة ، ١٤ ش الجمهورية ، عابدين

القاهرة . ت ٣٧١٧٤٧٠

* الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ .